

العلاقات التركية الإسرائيلية: قراءة في ثنائية الخطاب والممارسة السياسية

أمال بوساحة *

أستاذة مساعدة أ، (كلية العلوم السياسية و العلاقات الدولية) جامعة الجزائر 03.

عبد الله راقيدي *

أستاذ التعليم العالي، (كلية العلوم السياسية و العلاقات الدولية) جامعة باتنة 01.

تاريخ الارسال 2019-02-21 - تاريخ القبول 2021-11-22

الملخص:

ارتقت العلاقات التركية الإسرائيلية في عقد التسعينيات من القرن الماضي إلى مستويات استراتيجية بعد بدء محادثات السلام العربية الاسرائيلية في مدريد عام 1991، والتي سمحت لتركيا بالتخلي عن مبدأ الموازنة في سياستها الخارجية تجاه الدول العربية واسرائيل. وكان للتحويلات السياسية العالمية والإقليمية دور بارز في توثيق العلاقات بين البلدين، وفي المقابل فإنها تعد من المتغيرات التي أثرت على الخطاب السياسي لتركيا تجاه اسرائيل لا سيما بعد تقلد حزب العدالة والتنمية مقاليد السلطة عام 2002م، كما كان للسياسات المنتهجة من قبل اسرائيل ضد الفلسطينيين وفرضها حصارا على قطاع غزة ومهاجمتها قافلة المساعدات الإنسانية أن أفضت إلى توتر علاقاتها مع تركيا، ومن هذا المنطلق سنتناول قراءة للعلاقات التركية الإسرائيلية وكيف تغير الخطاب السياسي لتركيا تجاه اسرائيل والذي انعكس على جوانب عدة.

الكلمات الدالة:

تركيا، إسرائيل، التحويلات الإقليمية، الخطاب السياسي.

Les relations israélo-turques: une lecture bilatérale du discours et de la pratique politique

AMEL BOUSSAHA

ABDELLAH RAGDI

Résumé

Dans les années 1990, les relations turco-israéliennes ont atteint un niveau stratégique après le lancement des pourparlers de paix arabo-israéliens à Madrid en 1991, ce qui a permis à la Turquie d'abandonner le principe d'équilibrer sa politique étrangère entre les États arabes et Israël. Par ailleurs, les changements politiques mondiaux et régionaux ont joué un rôle clé dans le renforcement des relations entre les deux pays. Cependant, ces mêmes changements politiques figurent parmi les variables ayant influencé le discours politique de la Turquie à l'égard d'Israël, notamment après l'arrivée au pouvoir du Parti de la justice et du développement en 2002. De plus, les politiques adoptées par Israël contre les Palestiniens ont engendré des tensions dans les relations avec la Turquie. Dans ce contexte, nous analyserons les relations turco-israéliennes, en mettant en lumière l'évolution du discours politique de la Turquie envers Israël et son impact sur plusieurs questions.

Mots-clés :

Turquie, Israël, transformations régionales, discours politique.

Israeli-Turkish Relations: A Bilateral Analysis of Discourse and Political Practice

AMEL BOUSSAHA

ABDELLAH RAGDI

Summary:

In the 1990s, Turkish-Israeli relations reached strategic levels after the start of the Arab-Israeli peace speeches in Madrid in 1991, which allowed Turkey to abandon the principle of balancing its foreign policy to words Arab states and Israel. Also, global and regional political changes have played a key role in strengthening relations between the two countries. On the other hand, these political changes is one of the variables that influenced Turkey's political discourse towards Israel, especially after the takeover of power by the Justice and Development Party in 2002. In addition to this, the policies adopted by Israel Against the Palestinians has resulted in tense relations with Turkey. In this context, we will discuss Turkish-Israeli relations and how Turkey's political discourse has changed towards Israel and it has been reflected on several issues.

Key Words:

Turkey, Israel, regional transformations, political discourse.

مقدمة:

اكتسبت العلاقات التركية الإسرائيلية في تسعينات القرن الماضي بعدا إستراتيجيا وبرغم أن تركيا كانت أول دولة مسلمة تعترف بإسرائيل عام 1949م، إلا أن العلاقات بينهما بلغت ذروتها بعد توقيع اتفاق التعاون العسكري عام 1996م، كما شملت عدة أبعاد أخرى سياسية وإقتصادية، وكان لتوقيع اتفاقية مدريد للسلام عام 1991م أن أعطت دفعا لتركيا نحو توثيق علاقاتها بإسرائيل. وبنقل حزب العدالة والتنمية سدة الحكم في عام 2002م شهدت التوجهات السياسية لتركيا تحولات عميقة بتبنيه رؤية جديدة مغايرة للمقاربة الأتاتورية التي كانت سائدة من قبل، باعتماد سياسة متعددة الأبعاد وخطابا سياسيا يستند إلى القوة الناعمة.

وفي ظل التحول الذي عرفته السياسة التركية تعرضت العلاقات التركية الإسرائيلية لتوتر غير مسبق أوصلها إلى الحضيض لإختلاف سياسات البلدين وتباين المواقف حول عديد القضايا والتطورات التي تشهدها منطقة الشرق الأوسط، لاسيما منها الحصار الذي فرضته إسرائيل على قطاع غزة إلا أن الأمر الذي زاد من شدة التوتر بين البلدين قيام الجيش الإسرائيلي بالإعتداء على قافلة مساعدات إنسانية لفك الحصار على قطاع غزة، وانطلاقا مما سبق نطرح الإشكالية التالية:

مامدى ثبات العلاقات التركية الإسرائيلية في ظل التجاذبات السياسية؟

ولتوضيح مجال الرؤية العلمية وتحديدتها سنحاول الاجابة عن الإشكالية الرئيسية المتمحورة

كالآتي:

I. العلاقات التركية الإسرائيلية: قراءة في كرونولوجيا التطور.

II. الخطاب السياسي التركي تجاه إسرائيل.

III. انعكاسات الخطاب التركي على الممارسة السياسية تجاه إسرائيل.

I. العلاقات التركية الإسرائيلية : قراءة في كرونولوجيا التطور.

لدراسة هذا الموضوع و التحكم في مجريات تفاصيله لابد أولا من شرح وفهم أهم المفاهيم المتعلقة به، كذلك مرت العلاقات التركية الإسرائيلية بعدة محطات تاريخية، إذ ترجع إلى فترة حكم الدولة العثمانية التي قامت باستقبال اليهود فترة التهجير والقمع الديني الذي مارسه إسبانيا ضد المسلمين واليهود سنة 1492م، ومنحتهم الحماية ومكنتهم من الاندماج داخل المجتمع العثماني دون أية قيود⁽¹⁾، وفي هذا يقول الأستاذ سونر كاجاباتي : "أنه في القرن السابع عشر كانت الجالية اليهودية التي تعيش في الدولة العثمانية تعد الأكبر من نوعها في العالم أجمع"، وحتى الفترة التي سبقت قيام دولة الكيان الإسرائيلي سنة 1948م حظي اليهود بالعيش الكريم في ظل الدولة العثمانية والتي

استفادت من خبراتهم ومعارفهم التي أخذوها من التطور الغربي، كما لم يشكرو أي تهديد يمس الدولة العلية بخلاف الجاليات التي كان لبعضها نزعات انفصالية⁽²⁾.

عرف اليهود في تركيا باسم يهود الدونمة*، وتمركز أغلبهم في مدينة سالونيك وتمكنوا من التغلغل وبسط نفوذهم داخل مفاصل الدولة العثمانية وربط علاقات وثيقة مع مصطفى كمال أتاتورك، ومساندة دوره في سياسة الدولة التي اعتمدت العلمانية كنظام جديد للدولة التركية الحديثة سنة 1923م⁽³⁾.

مثلت التطورات الدولية التي أعقبت الحربين العالميتين، والتي أفضت إلى انقسام العالم إلى معسكرين شرقي وغربي. أن كانت متغيرا ساهم في إقرار تركيا بالكيان الإسرائيلي، باتخاذها قرارا بالتوجه والإصطفاف مع المحور الأطلسي الداعم لإنشاء الكيان الجديد (إنكلترا، الولايات المتحدة)، ولتقادي التهديدات السوفياتية آنذاك⁽⁴⁾. وبذلك أصبحت تركيا واحدة من أوائل الدول التي اعترفت بإسرائيل كدولة في عام 1949م، إلا أن مستوى علاقاتها لم يرقى إلى المستوى الإستراتيجي، والتزمت تركيا نهجا حذرا في تعاملها والتزامها بإسرائيل، وذلك لتوازن علاقاتها بإسرائيل والدول العربية التي كانت تبحث عن تأييدها في المحافل الدولية عبر خفض علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل إلى مستوى القائم بالأعمال في عام 1956م. أبدت تركيا تأييدها للقضايا العربية في العديد من مواقفها وافتتحت مكتبا لمنظمة التحرير الفلسطينية في أنقرة عام 1970م، وفي عام 1980م خفضت تركيا علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل إلى مستوى رمزي بعد ضم إسرائيل للقدس الشرقية وخلال هذه الفترة لم تظهر تركيا أي نية في رفع مستوى علاقاتها بإسرائيل⁽⁵⁾.

وتعد التحولات السياسية العالمية والإقليمية وغياب نظام إقليمي عربي عقب نهاية الحرب الباردة عاملا ساهم في تغيير المعادلات وأدى إلى تعزيز العلاقات الثنائية بين تركيا وإسرائيل، لاسيما

بعد بدء محادثات السلام العربية- الإسرائيلية في مدريد عام 1991، والتي فسحت المجال لتبادل الزيارات بين مسؤولي البلدين على أعلى مستوى وكانت في مقدمتها الزيارة التي قام بها الرئيس الإسرائيلي آنذاك "حاييم هرتزوغ" إلى اسطنبول في جويلية 1993م⁽⁶⁾.

وفي هذا الإطار تمكنت تركيا من التخلي عن مبدأ التوازن في سياستها الخارجية تجاه القضايا المتعلقة بمنطقة الشرق الأوسط، لاسيما وأنها كانت تجري حسابات دقيقة قبل اتخاذ أي قرار تجاهها. غير أن توقيع اتفاقية أوسلو في سبتمبر 1993م، واتفاقية وادي عربة في أكتوبر 1993م اعتبرت نقطة تحول فاصلة في السياسة الخارجية التركية وعلاقتها بإسرائيل، بحيث حررتها من قيود الإنتقادات التي كانت توجه إليها على المستويين الداخلي والإقليمي العربي⁽⁷⁾.

بتوقيع اتفاقية السلام في مدريد قامت تركيا برفع مستوى علاقاتها بإسرائيل إلى مستوى السفراء وافتتحت قنصليتها العامة في القدس الشرقية والغربية، كما في الضفة الغربية وقطاع غزة بالنسبة للسلطة الفلسطينية. وبذلك استطاعت تركيا من إنشاء أرضية أفضل لتعزيز تعاونها مع إسرائيل، وتجدر الإشارة أيضا أنه من بين العوامل التي أدت إلى زيادة الحوار، هو تدهور العلاقات مع الإتحاد الأوروبي والولايات المتحدة بسبب انتهاكات حقوق الإنسان في تركيا⁽⁸⁾.

في منتصف التسعينات من القرن الماضي قفزت العلاقات التركية الإسرائيلية لتتطور إلى شراكة إستراتيجية في مجال التعاون العسكري والإستخباراتي بتوقيع البلدين الإتفاقية العسكرية عام 1996م، ويأتي هذا التطور إلى كون أنقرة تواجه تحديات أمنية بسبب تفاقم المشكلة الكردية التي أدت إلى تزايد التهديد المتبادل بين تركيا وسوريا التي قدمت يد العون للأكراد، ولذا فإن إسرائيل بدت حليفا مثاليا ودولة موالية للغرب يمكن أن تكسب تركيا التأييد والنفوذ لدى الولايات المتحدة وأوروبا،

خصوصا فيما يتعلق بالقضية القبرصية والأرمن ورفع القيود التي تواجهها أنقرة في مجال الحصول على الأسلحة ونقل التكنولوجيا العسكرية⁽⁹⁾.

خلال هذه الفترة نقلت صحيفة هارتس عن تقرير قدمه مركز بيجن- السادات للدراسات الإستراتيجية بأن مسؤولين أتراك وإسرائيليين درسوا منظومة أمنية مشتركة في الشرق الأوسط بغرض ضمان استقرار المنطقة. وأنه بإمكانها ترجيح ميزان القوة في المنطقة لفائدة إسرائيل وتركيا، كما أصدر التقرير أنه وخلال الفترة القصيرة من تحالف الدولتين تم خلالها توقيع أكثر من 22 اتفاق تعاون في مجالات إستراتيجية وأمنية⁽¹⁰⁾. ومن ناحية أخرى، شهد المجال الإقتصادي أيضا تطورا ملحوظا حيث بلغ حجم التبادل التجاري بين البلدين حوالي 1,2 مليار دولار خلال عام 2000م مقارنة بعام 1995م والذي بلغ 363 مليون دولار⁽¹¹⁾.

في عام 2000م اندلعت الانتفاضة الفلسطينية الثانية، والتي قابلها جيش الدفاع الإسرائيلي بقمع واستخدام العنف ضد الفلسطينيين، وبسبب موقف الرأي العام التركي تجاه الممارسات الإسرائيلية تأثرت العلاقات بين البلدين⁽¹²⁾. كما انعكس ذلك في الموقف التركي في هيئة الأمم المتحدة بتصويتها لصالح مشروع قرار قدمته المجموعة العربية، أدانت فيه إسرائيل لإفراطها في استخدام الأسلحة والعنف ضد الفلسطينيين، وفي زيارة قام بها مسؤول إسرائيلي إلى تركيا في أكتوبر 2001م صرح بأن "التصويت التركي جاء مفاجئا لإسرائيل"، ويعبر هذا التصريح عن الفتور والتوتر الذي مس العلاقات التركية الإسرائيلية⁽¹³⁾.

ويمكن القول أن العلاقات الوثيقة بين الدولتين التي ميزت عقد التسعينات ترجع إلى عدة

عوامل رئيسية دفعت بهذا الإتجاه وهي:

1. الرؤية الإستراتيجية المشتركة.

2. مصلحة الجيش التركي في تحسين العلاقات والبحث عن حليف إستراتيجي ذي علاقة

وثيقة بالغرب بعد انهيار الإتحاد السوفياتي.

3. إبداء تركيا اهتماما بقضايا منطقة الشرق الأوسط في هذه الفترة.

ولذا فإنها اعتبرت إسرائيل تقاسمها وجهة النظر فيما يخص التطرف والإرهاب، وصعود النفوذ

الإيراني، بالإضافة إلى كونهما تشتركان في سمة علمانية أنظمتها السياسية وتعدان دولتان معزولتان

في محيطهما الجيوسياسي⁽¹⁴⁾.

شكل تسلم حزب العدالة والتنمية مقاليد السلطة عام 2002م وتبنيه مقاربة موجهة لحل المشاكل

مع دول الجوار (Zero Problem) إلى إحداث تغير في العلاقات الثنائية بين الدولتين، وأضحت

إسرائيل لاتشكل فيها المحور ضمن السياسة الخارجية التركية⁽¹⁵⁾. كما أدت إلى تراجع وتناقص في

توجهات الدولتين لاسيما بعد تحجيم دور المؤسسة العسكرية في تركيا في صنع القرار السياسي،

خاصة منها ما تعلق بقضايا الأمن القومي وسياستها الخارجية⁽¹⁶⁾.

وفي نفس السياق، شهدت العلاقات بين البلدين تزايد الهوة والشرخ بينهما، بتزايد اتجاه تركيا

وتوجهها نحو تعزيز علاقاتها بدول الجوار. كما كان لسياسة إسرائيل وعملياتها العسكرية في لبنان

وفلسطين محل انتقاد من قبل حكومة حزب العدالة والتنمية، فقد انتقدت أنقرة وبشدة الحملة العسكرية

الإسرائيلية على مخيمات رفح وخان يونس في ديسمبر 2004م ، كما قامت بتعزيز علاقتها بحركة

حماس واستضافة خالد مشعل بأنقرة بعد فوزها في انتخابات 2006م. أدى ذلك إلى رد إسرائيل بشن

حملة عسكرية على لبنان في صيف سنة 2006م، والتي نتج عنها توتر العلاقات الثنائية بين البلدين

مرة أخرى⁽¹⁷⁾.

وبالرغم من تزايد مؤشرات التعاون بين البلدين في المجال الإقتصادي والعسكري الأمني؛ حيث بلغ حجم التبادل التجاري 3,4 مليار دولار عام 2008، إلا أنه تأثر بشكل واضح بعد العملية العسكرية الإسرائيلية على قطاع غزة في عام 2008م. وتراجعت الصادرات الصناعية والزراعية التركية تجاه إسرائيل بحسب صحيفة ידיعوت أحرانوت الإسرائيلية، كما تراجع حجم التبادل التجاري بين البلدين ليصل إلى نحو 40% في عام 2009م مقارنة بالعام 2008م⁽¹⁸⁾.

وفي ماي 2010م عرفت العلاقات التركية الإسرائيلية توترا سياسيا شديدا عقب الهجوم الإسرائيلي على أسطول الحرية. أدانت تركيا الهجوم بشدة وطالبت إسرائيل بالإعتذار وتقديم تعويضات لعائلات ضحايا الأسطول وفك الحصار المفروض على قطاع غزة، وبهذه المطالب رهنّت تركيا مستقبل علاقاتها مع إسرائيل⁽¹⁹⁾.

في مارس 2013 مهدت الوساطة الأمريكية التي أجراها الرئيس باراك أوباما الطريق نحو إعادة التقارب بين الطرفين، وذلك خلال زيارته لإسرائيل بالضغط على ناتنياهو الذي قدم إعتذاره لرئيس الحكومة التركية رجب طيب أردوغان، ووافقت عقبها تركيا باستئناف العلاقات الدبلوماسية الكاملة وإلغاء الإجراءات القانونية ضد المسؤولين الإسرائيليين⁽²⁰⁾.

أدت التطورات الإقليمية التي تشهدها منطقة الشرق الأوسط بالبلدين لتطبيع علاقاتهما، ومن بين المتغيرات التي دفعت باتجاه هذا المسار إسقاط تركيا للطائرة الحربية الروسية في نوفمبر 2015م، ولأن روسيا تعد ممونا رئيسيا لتركيا بالغاز حيث توفر لها حوالي 60 % من الغاز، جعل تركيا تعيد النظر بضرورة البحث عن حلفاء إقليميين لتأمين مصادرها من الطاقة، وهو العامل الذي حفزها لتجديد علاقتها مع إسرائيل وبشكل رسمي أواخر شهر جوان عام 2016م⁽²¹⁾.

وبالرغم من الزخم الذي حظيت به العلاقات التركية الإسرائيلية وتوقيع اتفاقا لتطبيعها، إلا أن السياسات التي تنتهجها إسرائيل تجاه الفلسطينيين وقضايا المنطقة أعادتها إلى التوتر؛ حيث عرفت أزمة جديدة بعد مقتل أكثر من 60 شهيدا في قطاع غزة، وطلبت تركيا من السفير الإسرائيلي مغادرة أراضيها⁽²²⁾.

II. الخطاب السياسي التركي تجاه إسرائيل.

انتهجت تركيا مقاربة مبنية على الموازنة بين ماضيها التاريخي والمقتضيات البراغماتية بتبنيها مقاربة تستحضر فيها تاريخها العثماني وعمقها الإستراتيجي في منطقة الشرق الأوسط، فمنذ وصول حزب العدالة والتنمية إلى السلطة عام 2002م عمل على تهيئة الأرضية لذلك، باستخدام أدوات ووسائل جديدة في تعاطيه مع العالم الخارجي عبر ترتيب أولوياتها، وتبني سياسة خارجية فاعلة استندت على فهم البيئتين الإقليمية والدولية مدعومة بدبلوماسية متناغمة ومتعددة الأبعاد بتصغير المشاكل مع الجيران (Zero Problem With Neighbors)⁽²³⁾.

وانطلاقا من هذا، فإن الخطاب السياسي التركي استند على عدد من الأسس والمرتكزات التي أدت إلى بروز اختلاف الرؤى بين تركيا وإسرائيل وسياستهما حول العديد من القضايا، ونجد أن تركيا انطلقت في خطابها السياسي من مبادئ تتمثل في⁽²⁴⁾:

-التوازن السليم بين الحرية والأمن، عبر فسخ مجال للحريات للشعوب وتوفير الأمن دون التضحية بأمنها.

-التأثير في الأقاليم الداخلية والخارجية لدول الجوار، فتغير التوازنات الإقليمية والدولية والضرورات المصلحية دفعت تركيا للاهتمام أكثر بسياسة شرق أوسطية نشطة منذ عام 2002م.

-الدبلوماسية المتناغمة عبر استضافة فعاليات دولية والإنخراط في منظمات إقليمية مما هيا

لها الإنفتاح على ساحات جديدة.

-رسم مقاربة جديدة بأن تصبح تركيا دولة مركز بين القوى الكبرى بدل اعتبارها دولة جسرية.

-سياسة خارجية متعددة الأبعاد بتركيز علاقاتها مع الفاعلين على أنها متكاملة وليست بديلة.

وبالتوازي مع اعتماد تركيا لهذه الأسس والمبادئ في خطابها السياسي فإنها أيضا استخدمت

خطابا يستند إلى "القوة الناعمة" وعلى مستويات متعددة، والذي تهدف تركيا من خلاله لأن تكون

ضمن القوى الإقليمية والعالمية بقيادتها للشرق الأوسط والعالم الإسلامي، وقد بلغ هذا الخطاب

ذروته مع الحراك الشعبي الذي هز العالم العربي بعد عام 2011م⁽²⁵⁾.

منذ عام 2012م شهدت السياسة الخارجية التركية تحولات وتغيرات انعكست على ملامح

خطابها السياسي لاسيما بعد تعقد وتزايد حدة التداعيات السلبية للحراك الشعبي العربي على تركيا

ودورها الإقليمي، خاصة مع تعقد حل الأزمة السورية. لذا اتجهت الحكومة التركية إلى إحداث

تغييرات في نهج سياستها من خلال مراجعات أكاديمية وسياسية متتالية، بمساهمة المنظر لسياستها

الخارجية الحديثة أحمد داوود أوغلو⁽²⁶⁾.

وفي ظل التغيرات السياسية التي تشهدها منطقة الشرق الأوسط منذ عام 2011م عرف الخطاب

السياسي التركي تجاه إسرائيل تزايد حدته وتوترا متصاعدا بين البلدين إبتداء من الهجمات التي شنتها

إسرائيل على قطاع غزة في ديسمبر 2008م والتي استكرتها تركيا بشدة وطالبت بالإعتذار منها

كونها كانت تسعى إلى تجديد اتفاق التهدئة في غزة، وفي المقابل كان لها دور الوساطة بين سوريا

وإسرائيل والتي أوقفها أنقرة احتجاجا على إسرائيل. كما انتقد أردوغان قادة إسرائيل بشدة معتبرا

عدوانهم عمل وحشي في سبيل تحقيق مكاسب إنتخابية لهم ووصفه بأنه جريمة ضد الإنسانية⁽²⁷⁾.

وخلال فعاليات المنتدى الإقتصادي العالمي في دافوس في عام 2009م وجه رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان انتقادا لاذعا للرئيس الإسرائيلي شيمعون بيريز قبل مغادرته، وفي عام 2010م زادت حدة الخطاب التركي تجاه إسرائيل بعد إعتدائها على أسطول الحرية (مافي مرمرة) ، حيث طلبت تركيا عقد إجتماع طارئ من مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة تضمن إصدار بيان يدين الهجوم الإسرائيلي على أسطول الحرية والدعوة إلى رفع الحصار على قطاع غزة، ومن ناحية أخرى قامت بسحب سفيرها في إسرائيل ووصف وزير الخارجية أحمد داوود أوغلو الحادثة بأنها "إرهاب دولة"⁽²⁸⁾.

وفي هذا السياق ألقى رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان خطابا أمام البرلمان التركي عام 2010م بعد الهجوم على سفينة مرمرة منتقدا فيه إسرائيل ومما جاء فيه: "أن الجمهورية التركية تستخدم كافة الوسائل الدبلوماسية والقانونية الدولية وستستمر في استخدامها" وفي هذا الإطار⁽²⁹⁾:

-تم إستدعاء السفير التركي لدى تل أبيب.

-ألغيت ثلاث مناورات عسكرية مبرمجة مشتركة مع إسرائيل.

-دعوة وزير الخارجية التركي مجلس الأمن إلى عقد إجتماع طارئ أعلن فيه مجلس الأمن بيانا ندد فيه بإسرائيل، وطالب بفتح تحقيق بشأن الحادث ودعا إسرائيل إلى إطلاق سراح المدنيين والمصابين فورا.

-دعوة مجلس حلف الناتو إلى إجتماع طارئ.

وجاء فيه أيضا: "لقد بلغت ممارسات الإدارة الإسرائيلية غير الحقوقية حدا لا يمكن بعده سترها أو تأويلها أو التغاضي عنها... الإدارة الإسرائيلية تنسف السلام الإقليمي بنشرها الكراهية في الشرق

الأوسط وتتحول إلى بؤرة تنتشر الإضطراب حولها يجب على المجتمع الدولي أن يتدخل في هذا الأمر في أسرع وقت".

وبالرغم من قبول إسرائيل تقديم الاعتذار وتعويضات مادية لضحايا الأسطول، إلا أن الخطاب السياسي التركي لا يزال في مستوى من الحدة والتوتر. وقد أقرت أنقرة في نفس تلك الفترة أنه من السابق لأوانه إعادة تعيين السفراء وأنه يلزم مناقشة المزيد من التفاصيل⁽³⁰⁾.

وفي السياق ذاته تعتقد "غاليا ليندشتراوس" أن العلاقات التركية -الإسرائيلية قد دخلت مرحلة اللعبة الصفرية Zero Sum Game، بعد حادثة مافي مرمرة مما يعني أن ربح أحد الطرفين يعني خسارة للطرف الآخر⁽³¹⁾، ويبدو أن الخطاب التركي يسير في اتجاه منحى تصاعدي منذ العام 2010م تجاه إسرائيل، ففي العام 2015م دعت تركيا السفير الإسرائيلي للخروج منها بعد إرتكاب القوات الإسرائيلية لمجزرة في غزة في شهر ماي من نفس السنة، وبرغم محاولات تطبيع العلاقات بين البلدين عام 2016م وعودة السفراء إلا أن تركيا استمرت بتوجيه انتقادات شديدة اللهجة عبر خطاباتها لإسرائيل بعد إصدارها لقانون القومية العنصري الذي سنه الكنيست الإسرائيلي⁽³²⁾.

كما كان لإعتراف الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بالقدس عاصمة لإسرائيل أن سعدت تركيا من لهجة خطابها تجاه إسرائيل بتصريح الرئيس أردوغان: "إن إسرائيل دولة إحتلال تلجأ إلى التهريب" ومؤكدا رفضه الإعتراف بالقرار الأمريكي⁽³³⁾.

III. انعكاسات الخطاب التركي على الممارسة السياسية تجاه إسرائيل.

اتسمت العلاقات التركية الإسرائيلية منذ بدئها بكونها خضعت للمتغيرات الإقليمية والدولية التي ميزت فترة الحرب الباردة ومابعدھا، ولأن تبني تركيا لمبادئ العلمانية الأتاتورية أبعد تركيا عن

دائرتها الجيوسياسية الشرق أوسطية الأمر الذي جعل علاقتها بدول الجوار في حالة توتر دائم سيطر عليها المتغير الأمني .

إذ يعد الهاجس الأمني الحدودي أحد المتغيرات الأساسية التي كانت مقياسا للسياسة التركية والذي أدى إلى توثيق علاقتها مع إسرائيل كونها هي الأخرى تشهد صراعات مع الدول العربية، وبذلك منحت إسرائيل ساحة مناورة إقليمية واعتبرتها مهمة بالنسبة لها. وساهمت التغيرات التي عرفتها منطقة الشرق الأوسط منذ نهاية الحرب الباردة في جعل إسرائيل تتجح في عقد اتفاقات سلام مع الدول العربية وتشكيل سياسات إقليمية مستقرة نسبيا. كما دفعتها إلى دعم جهودها للحصول على الشرعية الدولية بعد دخول تركيا في علاقات إستراتيجية معها⁽³⁴⁾.

مثل عقد التسعينات بالنسبة لعلاقات البلدين مرحلة متميزة شهدت فيها قفزة مذهلة على كل الأصعدة، حيث عرفت تنامي المبادلات التجارية الثنائية والاستثمارات التي ترافقت مع التعاون العسكري الإستراتيجي بين البلدين الذي ساعد تركيا بأن تخلت سوريا عام 1998م عن دعمها لحزب العمال الكردستاني وإبرامها اتفاق أضنة مع سوريا⁽³⁵⁾.

بلغت العلاقات بين البلدين في هاته المرحلة أوجها من التطبيع والتقارب واستمرت في هذا التوجه من خلال تبادل الزيارات الرسمية الرفيعة المستوى من قبل المسؤولين في كلا البلدين⁽³⁶⁾، إلا أن الإعتبارات الإستراتيجية التي أدت إلى إزدهار العلاقات التركية الإسرائيلية أخذت في التراجع لاسيما بعد تولي حزب العدالة والتنمية سدة الحكم وتغير خطابه السياسي تجاه إسرائيل والذي تأثر بشدة بعد الإعتداء الإسرائيلي على أسطول الحرية⁽³⁷⁾.

ويمكن القول أن من بين العوامل التي أدت إلى تغير الخطاب التركي تجاه إسرائيل من الناحية السياسة بدء تركيا تطبيق مبدأ تصفير المشاكل مع الجيران والذي كانت له تداعياته على إسرائيل،

فبحسب بعض الباحثين الإسرائيليين فإن علاقات تركيا مع سوريا وإيران والعالم الإسلامي والتوجه شرقا بالإنفتاح على العالم العربي الإسلامي قد سمح بإضعاف النخبة العلمانية والعسكرية المساندة للتقارب مع إسرائيل⁽³⁸⁾.

إن سعي تركيا في السابق لتوثيق علاقتها مع إسرائيل كانت مدفوعة برغبتها في توثيق علاقتها مع الولايات المتحدة وكسب تأييدها، إلا أن المقاربة التي تبنتها حكومة حزب العدالة والتنمية جعلت أهداف تركيا متباعدة عن أهداف الولايات المتحدة، ولكن رغم ذلك فإن تركيا لا يمكنها قطع علاقاتها بشكل نهائي مع إسرائيل⁽³⁹⁾.

أما على المستوى الإقتصادي فقد أدى انخفاض حجم الاعتماد والتعاون الأمني بين البلدين إلى تبادل الشكوك والتصورات المتباينة بالتهديد، كما كان لسياسة إسرائيل الإقليمية وغير المعترف بها التي دعمت حزب العمال الكردستاني أن أثارت المخاوف والقلق المتزايد لدى تركيا. أما بالنسبة لإسرائيل فإن التقارب التركي مع دول المنطقة ودعم إجراءات إرساء الديمقراطية في سياق الربيع العربي، وإقامة شركات جديدة في محيطها ومطالبتها إسرائيل بالإعتذار كشرط لتطبيع العلاقات التركية الإسرائيلية أثارت الشكوك والشعور وبالقلق لدى إسرائيل والتي إعتبرتها تهديدا لأمنها⁽⁴⁰⁾.

لكن مع ذلك فإن العلاقات التركية الإسرائيلية التي شهدت توترا سياسيا وجمودا دبلوماسيا مابين 2010-2016 فالبراغماتية والمصالح المشتركة دفعت الطرفين إلى التقارب الحذر ، وتمكن الطرفان من فصل العلاقات الإقتصادية عن العلاقات السياسية والأمنية الإستراتيجية بعد تطبيع العلاقات عام 2016م⁽⁴¹⁾. ووفقا لبيانات صادرة عام 2017م فإن التجارة الثنائية بين البلدين كانت في إزدياد إذ وصل حجم التبادل إلى 3,4 مليار دولار في 2017م بزيادة 11% على عام 2016م، وبالنظر إلى التطور في الجانب الإقتصادي فإن هناك تقارير إسرائيلية أبدت مخاوفها من تراجع زخم العلاقات

الإقتصادية عقب التصريحات التي أدلى بها الرئيس أردوغان قبيل انتخابات 24 جوان 2018، إلا أنه وفي ضوء ما تمر به منطقة الشرق الأوسط من أزمات بالإضافة إلى تضرر الإقتصاد التركي من تراجع قيمة عملته فإن العلاقات بين الطرفين ستدار ببراغماتية تخدم مصالح الطرفين⁽⁴²⁾.

الخاتمة:

من خلال ما سبق نخلص إلى أن العلاقات التركية الإسرائيلية كان لها جذور تاريخية تعود إلى عصر الدولة العثمانية، التي احتضنت اليهود الفارين من محاكم التفتيش الإسبانية ومنحتهم الحماية والإستقرار على أراضيها. وأدى إندماج اليهود داخل المجتمع التركي الذين عرفوا بيهود الدونمة بإقامة علاقات وثيقة داخل دوائر الحكم مكنتهم من ربط علاقات وطيدة ساعدت مصطفى أتاتورك في إلغاء الخلافة العثمانية وإعلان تأسيس الجمهورية التركية الحديثة عام 1923م. وفي ظل التطورات التي شهدتها عالم مابعد الحربين العالميتين والحرب الباردة اتجهت تركيا إلى الإصطفاف في المحور الأطلسي، سعيا منها لكسب تأييده ومواجهة خطر الاتحاد السوفياتي لتعلن في ضوء ذلك الإصطفاف إعترافها بقيام إسرائيل كدولة عام 1949م، بيد أن مستوى علاقاتها الدبلوماسية والسياسية لم ترتقي إلى مستوى إستراتيجي إلا في عقد التسعينات من القرن الماضي عقب انطلاق مسار عملية السلام العربية الإسرائيلية في مدريد عام 1991م، ليفسح المجال أمام تركيا لتوثيق علاقاتها بإسرائيل بدعم من النخبة العلمانية التركية المتمثلة في المؤسسة العسكرية وتغير بذلك سياسة الموازنة في علاقتها مع الدول العربية وإسرائيل.

بيد أن الإنفتاح السياسي لتركيا على محيطها الجيوسياسي والإنخراط في قضاياها واستخدامها خطابا سياسيا يستند إلى " القوة الناعمة" سعيا منها لكسب مكانة ضمن القوى الإقليمية والعالمية، والذي ظهر بشكل بارز عقب الحراك الشعبي العربي ، في حين أن خطابها هذا عرف تصعيدا في لهجته وحدته تجاه إسرائيل لاسميا بعد الإعتداء الإسرائيلي على سفينة مافي مرمرة عام 2010م والسياسات العدائية الإسرائيلية تجاه الفلسطينيين، وهو ما أدى إلى انعكاسه على مستوى علاقاتها الدبلوماسية والسياسية الأمنية الإستراتيجية بين البلدين، وبالنظر إلى المناخ السياسي المتوتر بين تركيا وإسرائيل إلا أن البعد الإقتصادي في ظل التوتر لم تتأثر بشكل كبير حيث يشهد استمرارا وزيادة في مجال التجارة الثنائية والتي زادت نسبتها بعد تطبيع العلاقات عام 2016م.

ويمكن القول بأن ثبات العلاقات التركية الإسرائيلية تحكمه البراغماتية والإعتبارات المصلحية للبلدين ، فبرغم الخلافات السياسية وتزايد حدة الخطاب التركي تجاه إسرائيل استطاعت الجارتان الإستمرار في تعزيز التعاون الإقتصادي وفصله عن البعد السياسي وخلافاته، إلا أن التقاب الرسمي بين البلدين بعد التطبيع لم يؤدي إلى إعادة العلاقات السياسية إلى مستواها الإستراتيجي الذي كان يميزها في فترة عقد التسعينات وهو ما يعني أن إستمرار العلاقات التركية الإسرائيلية يبقى رهن السياسات المنتهجة من كلا الطرفين تجاه القضايا التي يمكن أن تغذي التوتر بين الطرفين.

قائمة الهوامش و المراجع:

(1) - محمد عبد الرحمان حمدان، "الجماعات اليهودية في تركيا ودورها في الحياة السياسية والإقتصادية والثقافية التركية"، ط1، دمشق، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، 2011، ص 12.

(2) - غراهام فولر، "الجمهورية التركية الجديدة: تركيا كدولة محورية في العالم الإسلامي"، ط1، أبوظبي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2009، ص 161.

*- عبر رئيس وزراء إسرائيل الأسبق "إسحاق بن زفي" في كتابه "الدونمة" الذي صدر عام 1957م عن هؤلاء الدونمة بقوله: "إن يهودا كثيرين جدا يعيشون بين الشعوب بطبيعتين إحداهما ظاهرة وهي إعتناق دين الشعب الذي يعيشون بين الشعوب جماعيا وظاهريا، والثانية باطنة وهي إخلاص عميق لليهودية.

(3)- هدى درويش، "حقيقة يهود الدونمة في تركيا: وثائق جديدة"، ط1، مصر، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، 2003، ص 47.

(4)- أحمد داوود أوغلو، "العمق الإستراتيجي: موقع تركيا في الساحة الدولية"، ترجمة محمد جابر ثلجي و طارق عبد الجليل، ط3، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2014، ص 453.

⁵ Shira Efron, **The Future of Israeli Turkish Relations** (santa monica calif: The RAND corporation, 2018), pp.4,5.

(6)- محمد نورالدين، "تركيا في الزمن المتحول: قلق الهوية وصراع الخيارات"، ط1، بيروت، رياض الريس للكتب والنشر، 1997، ص 266.

(7)- عماد الضميري، "تركيا والشرق الأوسط"، مركز القدس للدراسات السياسية، 2002، ص 104.

(8)- Mensur Akgun and others, **Turkish in Troubled Times: Israel- Turkey Relations**, Turkish Economic and Social Studies Turkish Relations Foundation, December, 2014, pP.1- 12.

(9)- Davut Han Aslan and others, **Turkey's Foreign Policy and The Midlle East Under AKP Rule (2002-2012)**, Zeszuty Uczelsi Vistula, 2016, vol 48 (3), pP.5-24.

(10)- أمجد أحمد جبريل، "العلاقات الإسرائيلية- الأسبوية"، مركز الحضارة للدراسات السياسية، أكتوبر، 2014، ص 436.

(11)- صداح أحمد الحباشنة، العلاقات التركية الإسرائيلية منذ وصول حزب العدالة والتنمية إلى السلطة (2002- 2010)، دراسات العلوم الإنسانية والإجتماعية، المجلد 38، عدد 3، 2011، ص 782.

(12)- Shira Efron, Ibid.

(13)- أحمد خالد الزعتري، "العلاقات التركية الإسرائيلية 2002-2016"، ط1، بيروت، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2017، ص 62.

(14)- Matthew S Cohen and Charles D Freilich, **Breakdown and possible resor:Turkish-israeli relationunder the AKP**, Israel journal of foreign affaire viii: January(2014) pP.1-18.

(15)- غراهام فولر، مرجع سابق، ص 167.

(16)- مجموعة مؤلفين، "العرب وتركيا: تحديات الحاضر ورهانات المستقبل"، ط1، بيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012، ص ص 733، 734.

(17)- Mensur Akgun, Ibid.

(18)- صداح أحمد الحباشنة، مرجع سابق، ص 786.

(19) – محمود محارب، "العلاقات الإسرائيلية- التركية في ضوء رفض إسرائيل الاعتذار"، الدوحة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، نوفمبر، 2012، ص ص 1-12.

(20) – Matthew S Cohen, Ibid.

(21) – Shira Efron, ibid.

(22) – إسماعيل ياشا، أزمة جديدة في العلاقات التركية الإسرائيلية، نقلا عن موقع عربي21 (تم نشره في 16 ماي 2018): <https://arabi21.com>

(23) – أيمن يوسف، العلاقة التركية- الإسرائيلية في ضوء عقيدة العمق الإستراتيجي لأحمد داوود أوغلو، مجلة قضايا إسرائيلية، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، العدد 41، 42، أوت 2011، ص 93.

(24) – أحمد داوود أوغلو، مرجع سابق، ص ص، 313-316.

(25) – Yohanan Benhaim and Kerem Oktem, **The rise and fall of turkey's soft power discourse**, European journal discourse of Turkish studies, march 2016, pP.1-24.

(26) – عماد يوسف قدورة، "مسألة التغير في السياسة الخارجية التركية: المراجعات والإتجاهات"، الدوحة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ديسمبر 2015، ص ص 1-19.

(27) – Mensur Akgun and others, Ibid.

(28) – Lucia Najšlová and Gershon Baskin, **What Next in Turkish-Israeli Relations?**, European Institute of the Mediterranean (IEMed.), July 2011, pP. 6- 30.

(29) – خطاب أردوغان حول الهجوم الإسرائيلي على أسطول الحرية، نقلا عن موقع الجزيرة:

<https://www.aljazeera.net>.

³⁰Matthew S Cohen, Ibid.

(31) – أيمن يوسف، مرجع سبق ذكره، ص 110.

(32) – محمود الرنتيسي، السياسة الخارجية التركية: ملفات شائكة وتغيير كبير في الأدوات، تقارير، مركز الجزيرة للدراسات، أوت 2018، ص ص 1-7.

(33) – أردوغان: "إسرائيل دولة إحتلال تلجأ إلى التهريب"، نقلا عن موقع فرانس 24:

<https://www.france24.com>.

(34) – أحمد داوود أوغلو، مرجع سابق، ص ص 456، 457.

(35) – غراهام فولر، مرجع سابق، ص ص 164، 165.

(36) – أحمد محمد وهبان، السياسة الخارجية التركية تجاه منطقة الشرق الأوسط: صراع الهوية والبراغماتية والمبادئ الكمالية، سلسلة إصدارات الجمعية السعودية للعلوم السياسية، يونيو 2013، ص 21.

(37) – Umut Uzer, **Turkish relations: their rise and fall**, from this site:

<https://www.mepc.org>

(38)– أيمن يوسف، مرجع سابق، ص ص 100، 101.

(39)– Matthew S Cohen, Ibid.

(40)– Demirtaş-Bagdonas, Özlem, “**Politics of National Honor in Turkish-Israeli Relations: An Alternative Account of the Recent Tensions**”, Uluslararası İlişkiler, Volume 10, No. 38 (Summer 2013), p. 101-125.

(41)– Shira Efron, ibid.

(42)– محمود الرنتيسي، مرجع سابق، ص ص 4، 5.